

التعليم المفتوح أو من بعد آلية لتكريس جودة التعليم بالجامعة

د/ إسماعيل ميهوبي
جامعة تبسة

ملخص:

يمر العالم اليوم بمرحلة انتقالية تقتضي إجراء تغيير جذري في الأولويات التنموية الاقتصادية والاجتماعية، إذ أدت عمليات التداخل والاندماج بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات إلى تغير تقني كبير أثر على مختلف أوجه النشاط الإنساني، خاصة التعليمي، وهنا يبرز التعليم المفتوح أو من بعد خاصة بالمؤسسات الجامعية ليمثل نقلة نوعية في مجال التعليم، ووسيلة فاعلة لحل الكثير من مشكلاته خاصة تلك المرتبطة بكثرة عدد الطلاب الراغبين في الالتحاق بالجامعات، وعدم قدرة الانتقال إلى المؤسسات الجامعية لاعتبارات مختلفة ومتنوعة، وليؤثر بشكل أو بآخر على العملية التعليمية للطلاب الجامعي في أبعادها المختلفة.

سنناول خلال هذا المقال التعليم المفتوح والتعليم من بعد كنموذج للعملية التعليمية ضمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وأثره في بناء الجودة في المؤسسات الجامعية.

abstract:

The world is today in transition requires a radical change in the priorities of economic and social development , as led operations overlap and integration between information technology and communications technology to change technical large impact on various aspects of human activity , especially education , here are highlights of open learning or after a private institutions university represents a quantum leap in the field of education , and a means effective to solve a lot of problems , especially those associated with the abundance of demand wishing to attend university , and the inability of the transition to academic institutions for different considerations and varied, and affect one way or another on the educational process of the student university in dimensions different .

We wild discuss during the following contribution of open learning and distance education model of the education al process within the information and communications technology , and its impact on building quality in academic institutions.

مقدمة:

تتسابق البلدان المتحضرة في عالم اليوم من أجل بناء بنى تحتية محكمة في مجالات التعليم العالي منطلقين من نظرية علمية وعملية في أن معا هي أن الجامعات مصانع أو مخابر لتوليد المعرفة، تمكن المجتمع من النمو والاستمرار في التطور وتقدم له مختلف الخبرات العلمية التي من شأنها حل ما يعترض طريق نموه المطرد بشكل علمي بأقصر السبل وبأخصر الوقت، وأمام ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي نعيشها في عصرنا اليوم، أصبحت الضرورة لتطوير جميع عناصر منظومة التعليم وتحديثها وتجديدها حتى تستجيب لمقتضى تلك التغيرات، فظهرت النظم التشابكية وأصبح هناك ضرورة للاهتمام بتطوير المعرفة والإنفاق عليها، وفي إطار التوجه نحو العولمة وتأثيراتها المحتملة على التعليم العالي وما ستقرضه هذه الظاهرة من معايير لجودة المؤسسات وبرامجها ليس على المستوى المحلي فحسب بل على المستوى العالمي، فإن عدم الاهتمام بجودة البرامج والمؤسسات على المستويات المحلية قد يؤدي إلى تهميش مؤسسات التعليم الجامعي وربما اندثارها كليا لتحل محلها مؤسسات تعليم أخرى.

ولأن مستقبل مجتمع ما أصبح مرهونا بمدى تحقيق النجاح في مؤسسات التعليم العالي، لأن مخرجات هذه الأخيرة هي في الواقع مدخلات التنمية وركائزها التي تعتمد عليها الدولة الحديثة حيث تسعى من خلال مؤسساتها وأجهزتها وعلى رأسها التعليم في بناء وتشيد المجتمع وتطويره، فاتجهت الجامعات مع الازدياد المتكرر للطلاب لاعتماد التعليم المفتوح أو عن بعد في تسليم المقررات للطلاب في الأماكن البعيدة، وإنشاء المدارس والجامعات والمكتبات الافتراضية، التعليم الفوري أو المتزامن والذي يستخدم النقاش الفوري أو الدردشة، التعليم اللامتزامن من خلال القراءة والتعليق على الموضوع المطروح للنقاش عندما تتاح له الفرصة بذلك في أوقات فراغه كوسيلة لتلبية احتياجات نوعية جديدة للطلاب.

لقد إرتأينا لمناقشتنا موضوع التعليم المفتوح أو من بعد كآلية لتكريس الجودة في التعليم العالي الاعتماد على المحاور التالية:

- مفاهيم أساسية للدراسة.
- المحور الأول: العملية التعليمية ضمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
- المحور الثاني: التعليم المفتوح والتعليم من بعد نموذج للتعليم الحديث.

- المحور الثالث: جودة التعليم العالي.
- المحور الرابع: الجامعة بين رهان جودة التعليم وتحديات المستقبل.

الخاتمة.

المفاهيم الأساسية للدراسة:

• **تكنولوجيا المعلومات Information Technology:** هي مجموع المعطيات المرتبطة بصناعة وحيازة المعلومات، تسويقها، تخزينها، استرجاعها، عرضها وتوزيعها من خلال وسائل تكنولوجيا حديثة ومتطورة وسريعة، وذلك من خلال الاستخدام المشترك للحاسبات الإلكترونية ونظم الاتصالات الحديثة، وأنها باختصار العلم الجديد لجمع وتخزين واسترجاع وبث المعلومات الحديثة آلياً عبر الأقمار الصناعية⁽¹⁾، وهي بذلك تعني كل ما يستخدم في مجال التعليم من تقنية معلوماتية، كاستخدام الحاسب الآلي وشبكاته المحلية والعالمية وذلك بهدف تخزين ومعالجة واسترجاع المعلومات في أي وقت.

• **تكنولوجيا الاتصالات Communication Technology:** هي القنوات الجديدة التي يمكن من خلالها نقل وبث الثورة المعلوماتية من مكان لآخر، وهكذا فإن تكنولوجيا المعلومات تشكل مع تكنولوجيا الاتصالات الحديثة تكنولوجيا المعلومات بمعناها الواسع⁽²⁾.

• **الجامعة:** يعرفها Victor بأنها مؤسسة للتعليم العالي، تسمح لمن ينهي دراسة المرحلة الثانوية للالتحاق بها، وتعمل على تقديم برامج تعليمية وتدريبية في مختلف التخصصات النظرية العلمية والعملية⁽³⁾، كما يعرفها نوفل بأنها المكان الذي يدرس أوضاع المجتمع ومشكلاته ويعمل على إيجاد الحلول الجذرية لها، حيث أنها توظف الدراسة والبحث العلمي لمعالجة المشكلات الاجتماعية وتعدّها إعداداً للعمل المستقبلي⁽⁴⁾.

• **التعليم المفتوح Open Learning والتعليم من بعد Distant Learning:** يحدد اللورد كروثر في كلمته التي ألقاها بمناسبة تسلمه الوثيقة الملكية الخاصة بالجامعة المفتوحة في إنجلترا عام 1969، أهم سمات التعليم الجامعي المفتوح، حيث قال: أن الجامعة ستكون مفتوحة ليس فقط فيما يتعلق بالقبول، بل فيما يتصل بالمكان (حيث لا يوجد حرم جامعي)، وفيما يتصل بالطريقة (وذلك باستخدام أي وسيلة اتصال تعزز وتحقق الأهداف التعليمية)، وبالنسبة للأفكار (حيث أنها ستكون معنية بكل ما يشتمل عليه التفاهم الانساني)⁽⁵⁾.

وهذا النمط من التعليم الجامعي، لم يظهر فجأة فقد كان له مقدمات تمثلت في نظام الانتساب، والذي بدأتها جامعة لندن عام 1858⁽⁶⁾.

ولا يفرق البعض بين التعليم المفتوح والتعليم من بعد، ومن هؤلاء تعريف Clive J Gffries & Others ، حيث يرون أن التعليم من بعد "هو شكل من أشكال التعليم المفتوح يكون فيه المعلم والمتعلم في مكان منفصل"⁽⁷⁾.

ولكن باستقراء كثير من البرامج المطبقة في بعض الجامعات يمكن القول بأنه ليس كل تعليم من بعد هو تعليم مفتوح، فهناك بعض برامج التعليم من بعد، ولكن يحدد شروط للالتحاق بها، كما أن بعض برامج التعليم المفتوح تتم من خلال التفاعل وجها لوجه.

ويرى ديرك رونتري أن فلسفة التعليم المفتوح تقوم على أساس توسيع فرص الالتحاق أمام أكبر عدد من الأفراد، وفي سبيل ذلك يعمل هذا النمط من التعليم على تمكين الدارسين من التعلم وفق احتياجاتهم، ويحررهم من حدة الالتزامات الخاصة بالالتحاق والاستمرار في الدراسة، ويأتي انفتاح التعليم على مستويات عدة، فهناك برامج الدراسة الحرة، والتي تحرر الدارس من الالتزام بأية شروط، وعلى الطرف المقابل فهناك بعض البرامج التي تسمح بقدر ضئيل من التحرر من بعض الشروط، ويمكن الحكم على مستوى الانفتاح من خلال الإجابة عن ثلاثة أسئلة⁽⁸⁾:

من الذي يمكنهم الالتحاق بالبرنامج؟، وكيف يتعلمون؟، وما الذي يمكنهم تعلمه؟

أما مفهوم التعليم من بعد، فهو التعليم الذي يتم مع وجود مسافة بين المتعلم والمعلم (أو مصدر التعلم)، ويتم عادة من خلال استخدام وسائل اتصال متعددة، ويقدم فيه مواد تعليمية تم إعدادها وفق مواصفات معينة.

جودة التعليم العالي: هي مجموعة من الأنشطة والمهارات التي يقوم بها المسؤولون لتسيير شؤون التعليم، التي تشمل التخطيط للجودة وتنفيذها وتقويمها وتحسينها في كافة مجالات العملية التعليمية، وقد وضع أستن معيارين لتعريف الجودة وبخاصة في التعليم العالي، المعيار الأول: يرى أن مفهوم الجودة في التعليم العالي يجب أن يركز على سمعة وشهرة المؤسسة أو مصادرها، أما المعيار الثاني فإن تعريف الجودة في التربية يجب أن يعزز ويقوى عن طريق تطبيق فلسفة تحسين الجودة⁽⁹⁾.

1- العملية التعليمية ضمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات:

في عصر المعلومات الجديد أصبح تبادل المعلومات متغيراً أساسياً إلى جانب المتغير الاقتصادي والمتغير الاجتماعي، ومن المتوقع أنه في حالة الاستخدام الفعال للأدوات الجديدة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن تؤثر في كافة البنى الثقافية للمجتمع بما في ذلك الحياة الأسرية وأماكن العمل والمدارس والمؤسسات والحكومات، هذه المؤثرات جميعها سوف تقود إلى إنتاج ما يسمى مجتمع المعلومات.

وفي مجال التعليم بشكل خاص تشكل تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة مجموعة متنوعة من المصادر والأدوات التقنية التي تستخدم في نقل وابتكار ونشر وتخزين وإدارة المعلومات، وتعتبر هذه العمليات كلها جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية، وقد ازدادت في السنوات الأخيرة الفرص المتاحة للتعليم في أدوات تقنيات المعلومات والاتصالات الرقمية وتطبيقاتها وشبكتها ووسائل الإعلام على المستوى العالمي.

ومن المهم في هذا السياق التركيز على التقنيات الرقمية الجديدة للمعلومات والاتصالات، وبوجه خاص على الاستخدامات التعليمية للإنترنت والشبكات بشكل عام وهذه التقنيات ليست فردية منفصلة ولكنها مجموعة متداخلة من الأجهزة والبرامج ووسائل الإعلام وأنظمة التدريس، وهذه التقنيات سريعة التطور وهي تتضمن كلا من الأجهزة والبرامج واستخداماتها.

◊ **التعليم الجامعي المتمازج:** ويقصد بالتعليم الجامعي المتمازج استخدام التقنية الحديثة في التدريس دون التخلي عن الواقع التعليمي المعتاد، والحضور في غرفة الصف، ويتم التركيز على التفاعل المباشر داخل غرفة الصف عن طريق استخدام آليات الاتصال الحديثة، كالحاسوب والشبكات وبوابات الإنترنت، ويمكن وصف هذا التعليم بأنه الكيفية التي تُنظم بها المعلومات والمواقف والخبرات التربوية التي تقدم للمتعلم عن طريق الوسائط المتعددة التي توفرها التقنية الحديثة أو تكنولوجيا المعلومات، ويتميز هذا النوع من التعليم، باختصار الوقت والجهد والتكلفة، من خلال إيصال المعلومات للمتعلمين بأسرع وقت، وبصورة تمكن من إدارة العملية التعليمية وضبطها، وقياس وتقييم أداء المتعلمين، إضافة إلى تحسين المستوى العام للتحصيل العلمي، وتوفير بيئة تعليمية مناسبة.

وإذا كانت المحاضرة هي إحدى طرائق التدريس المعتمدة على إلقاء المعلومات، فإن استخدام الوسائط التقنية الأخرى بالاشتراك معها، يساعد في التخلص من المظاهر السلبية للتعليم التقليدي، الذي يعتمد على إلقاء المعلومة بالقراءة من قبل المحاضر، إذ يجب أن يساعد التعليم على التفكير والإبداع والإبتكار من خلال مشاركة فعالة بين المدرس والطالب، وتساعد الوسائط التقنية المستخدمة في إيصال المعلومات، إذا أستخدمت بالشكل المناسب، في خلق الأجواء التي تساعد على التفاعل والتفكير النقدي والمشاركة بين المدرس والطالب، ومن أجل استخدام الوسائط المتعددة في التعليم لا بد أن يتوفر لدى المتعلم والمعلم المهارات الضرورية لاستخدام تكنولوجيا المعلومات، ويعني ذلك أن تتوفر لدى المتعلم والمعلم، القدرة على استخدام الوسائط المتعددة المستعملة في اقتناء المعلومات ومعالجتها وتخزينها وتوزيعها ونشرها في صورها المختلفة النصية والمصورة، بواسطة أجهزة تعمل إلكترونيًا، وتجمع بين أجهزة الحاسب الآلي، وأجهزة الاتصال، وشبكة المعلومات الإلكترونية.

2- التعليم المفتوح والتعليم من بعد نموذج للتعليم الحديث:

تتجه جامعات اليوم وفي ظل التطورات المتسارعة إلى البحث عن وسائل ووسائط تتجاوز سلبيات الطرق التقليدية للتعليم الجامعي، وقد تم اعتماد التعليم المفتوح أو من بعد للعوامل الآتية:

أ- التحول نحو عصر اقتصاديات المعرفة: لقد باتت المعرفة هي المسيطرة الآن على حركة حياة الفرد والمجتمع، وسوف يفرض عصر إقتصاد المعرفة علينا البحث عن بنى أخرى من التعليم الجامعي، نظرا لأن ما هو قائم الآن ظهر في عصر الصناعة، وتشكل في فلسفته وتخصصاته وفق نمط الانتاج المادي.

ب- تبلور العديد من التيارات الفكرية التربوية والتي تؤكد على أهمية التعلم مدى الحياة والذي يعد المدخل المناسب للقرن الحادي والعشرين، فكثرة متغيرات العصر تتطلب من الفرد ضرورة الموائمة المستمرة، وهذه بدورها تؤكد على حاجة الفرد للعودة للتعليم والتعلم من أجل هذه الموائمة، ومن أجل إمكانية تعامله مع الأوضاع التي تستجد في حياته الشخصية والعملية⁽¹⁰⁾.

ج- التمدد في غايات التعليم: حيث تفرض متغيرات عصر المعلومات ضرورة أن يتوجه التعليم إلى:

• التعلم من أجل المعرفة: ويتطلب هذا البعد من الفرد الإلمام بإمكانات وقدرات اكتساب المعرفة وفهمها، واستقراء واستخدام ما يصل إليه منها، وكذلك قدرات الربط بين عناصرها المختلفة بما يمكنه من أن يكون لنفسه صورة كلية عن الأحداث والمواقف والمشكلات الحياتية والاجتماعية التي يعايشها.

• التعلم من أجل العمل: حيث لم يعد يحكم العمل الآن النزعة الفردية والتركيز على التخصصية والتجزئية في الأداء، تلك السمات التي ظهرت في عصر الصناعة، فكثير من الأعمال تحتاج اليوم إلى جماعية الأداء، كما تحتاج الحوار سواء عن قرب أو بعد، وتحتاج إلى تصور شمولي للأحداث وتوقعها وسرعة التجاوب معها.

كما أصبحت بيئة العمل في كثير من الأحيان مكانا للتعلم، بل تعد هي الأساس في تعلم قطاعا مهما من المعرفة ذلك الذي يمكن أن نسميه "المعرفة الضمنية" وهي نوع من المعرفة تختلف عن المعرفة الموضوعية والأكاديمية والتي يوفرها التعليم الجامعي بشكله التقليدي.

• التعليم من أجل الوجود الفاعل للفرد: فالفرد في هذا العصر تكمن قيمته فيما يعرف، وفيما يعي، وفي قدرته على استخدام ما يعيه ويعرفه، لا يجدى في ظل هذا التصور أن نتبع أسلوبا في إعداد الفرد يماثل الأسلوب الذي أفرزه عصر الصناعة، والذي يركز على ما هو مشترك بين قدرات الأفراد، كما أنه يعمل على تنميط مخرجات المؤسسات التعليمية، فالكل متشابه، وهذا عكس ما يتطلبه عصر المعرفة، حيث يتطلب التنوع في القدرات والامكانيات والمهام.

• التعلم للعيش مع الآخرين: فعصر المعرفة أصبح يؤكد على كثير من القيم الانسانية العامة ومنها: حقوق الإنسان، والحفاظ على البيئة، والسلام العالمي.

د- مواجهة التزايد على الالتحاق بالتعليم الجامعي: ويقتضى هذا التفكير في أساليب مبتكرة لنشر التعليم الجامعي لكل المناطق ولكل الشرائح، وتيسير سبل الحصول عليه، وفي هذا تأكيد على قيم المساواة والعدالة الاجتماعية.

واستجابة للاعتبارات السابقة بدأت العديد من دول العالم في البحث عن صيغ غير تقليدية من التعليم الجامعي، تسعى إلى:

• تجاوز حالات فشل التعليم الجامعي بنمطه التقليدي في تحقيق فكرة المجتمع المتعلم، ذلك الفشل الذي يرجع إلى تركيز هذا النمط التقليدي في تدريسه

ذى الصبغة الأكاديمية على الموضوعات **Themes** والظواهر **Phenomenon**، أكثر من تركيزه على تعليم كيفية التعامل مع القضايا **Issues**، تلك القضايا التي يحياها الفرد يوميا ويتفاعل معها⁽¹¹⁾.

توفر المتابعة المستمرة لعملية التعليم والتأهيل، وتوفير للفرد فرصة التعليم الجامعي في أي وقت ومكان، حيث يتحرر الإلتحاق بها من قيود الإلتحاق كما هي في التعليم الجامعي التقليدي.

واستجابة للاعتبارات السابقة ولغيرها ظهرت صيغ من التعليم الجامعي وهي التعليم المفتوح والتعليم من بعد وصيغ أخرى تجمع بينهما، وقد كانت أول جامعة غير تقليدية تعتمد صيغة التعليم المفتوح والتعليم من بعد هي الجامعة المفتوحة في إنجلترا، والتي ظلت نموذجا لكثير من التجارب التي بدأت تظهر بعدها في غالبية دول العالم⁽¹²⁾.

◊ **أنماط التعليم المفتوح والتعليم من بعد:** لقد تزواج التعليم المفتوح والتعليم من بعد، ونتج عن ذلك ظهور العديد من الأنماط المستحدثة للتعليم الجامعي، وتقدم جامعة ميرلاند ثلاثة أنماط وهي⁽¹³⁾:

• **نمط الفصول الموزعة Distributed Classroom:** ويستخدم هذا النمط تكنولوجيا الاتصال التفاعلي، ليمدد من نظام الفصول التقليدية، حيث يقدم ذات المقررات التي تقدم لمجموعة من الدارسين بالأسلوب التقليدي لمجموعات في أماكن أخرى، ويجمع هذا النمط ما بين التعليم التقليدي والتعليم من بعد، وتتحكم الجامعة وهيئة التدريس في مكان الدراسة سواء من بعد، أو داخل الحرم الجامعي ويتناسب هذا النمط مع الطلاب الذين يدرسون في منازلهم أو أماكن عملهم، ويعتمد هذا النمط على تقنيات عدة في توصيل المعرفة للدارس.

• **نمط التعلم المستقل Independent learning:** يحرر هذا النمط الطلاب من الالتزام بمكان التعليم وزمنه، ويتلقى الدارس من خلاله مواداً متنوعة كما يتلقى تفاصيل عن المحتوى وطرق الاتصال بهيئة التدريس والتوجيه والإرشاد الأكاديمي، ويستخدم في ذلك عدة أنواع من التكنولوجيا منها: (التليفون، البريد الصوتي، الكمبيوتر، البريد الإلكتروني، البريد العادي...) ويطلق على هذا النظام الجامعة الافتراضية **Virtual University**⁽¹⁴⁾.

• **نمط التعليم المفتوح + الفصل Open Learning + Class:** وفي هذا النمط تستخدم أدلة مطبوعة للمقررات، ووسائل إعلامية أخرى مثل أشرطة الفيديو ودسكات الكمبيوتر ويسمح للدارس بالدراسة في مكانه على أن يحدد وقت متفق عليه ليلتقى الدارسون كمجموعة من خلال شبكة اتصال تفاعلي مع الأستاذ، ومن خصائص هذا النمط:

- تقديم محتوى المقرر بعدة صور (مطبوعات، دسكات كومبيوتر، أشرطة فيديو)، ويمكن للطالب مراجعة ذلك في أي وقت وأي مكان يختاره، سواء بشكل فردي أو كمجموعات.

وتعرض النماذج السابقة لأنماط متباينة من التعليم المفتوح والتعليم عن بعد ويعد النمط الثاني أكثرها انفتاحاً، وإتاحة للفرص بالمقارنة بالنمطين الأول والثالث، ولقد أخذ هذا النمط ينتشر في العديد من دول العالم نظراً لأنه يلبي حاجات اجتماعية كثيرة ومتنوعة.

3- جودة التعليم العالي:

تعتبر جودة التعليم العالي عن مقدرة مجموع خصائص ومميزات المنتج التعليمي على تلبية متطلبات الطالب وسوق العمل والمجتمع وكافة الجهات الداخلية والخارجية المنتفعة، حيث أن تحقيق جودة التعليم يتطلب توجيه كل الموارد البشرية والسياسات والنظم والمناهج والعمليات والبنية التحتية من أجل إنتاج ظروف مواتية للابتكار والإبداع في ضمان تلبية المنتج التعليمي للمتطلبات والمستويات التي يسعى الطالب لبلوغها.

ويعتبر التعليم العالي من أهم المراحل التعليمية في حياة المتدريس لأنه يأتي استكمالاً لما تم تحقيقه في مراحل التعليم الأساسية والثانوية، ولذلك فإن تحقيق الأهداف التربوية التي يتوخاها المجتمع يعتمد على قدرة النظام التربوي على تحقيق أهدافه في كل هذه المراحل، وإذا كان الاهتمام التربوي والتعليمي في مراحل التعليم العالي قادراً على بناء المعارف والاتجاهات والتعليم بالجودة المطلوبة، فإن التعليم العالي سيصبح قادراً على تحقيق الأهداف وبالجودة القادرة على بناء الفرد المتعلم والمجتمع، ومن ثم تحقيق التنمية وفق التطورات والتغيرات العلمية والتكنولوجية المتسارعة.

ولما كانت التطورات العلمية والتكنولوجية والمعرفية كما نشهدها اليوم، فإن الأنظمة التربوية التقليدية ومن ثم التعليم العالي تصبح غير قادرة

على الوفاء بما ينبغي أن تحقق من أهداف، فالتعليم التقليدي الذي تمارسه الجامعات اليوم يحتاج إلى تطوير وتحديث مستمر وفق معايير جديدة تأخذ في الحسبان حاجات الفرد والمجتمع المتغيرة في ضوء ما تفرضه التطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة.

فالكُتب المدرسية والمقررات الدراسية والمعلم والبيئة المدرسية والوسائل التعليمية ومصادر المعرفة التي عهدناها لفترة طويلة من الزمن لم تعد كافية اليوم لمواجهة التغيرات العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وأصبحت بحاجة في ضوء ذلك إلى إعادة النظر في النظام التربوي الشامل من أجل تمكين الطالب من مواجهة هذه التغيرات.

إن متطلبات العصر تفرض تطويراً شاملاً في النظام التربوي، وفي كافة مراحل التعليم خاصة الجامعي من أجل إعداد الفرد المتعلم القادر على اكتساب المعرفة وتوظيفها في حياته، واستظهارها من أجل حفظ المعرفة، فالهدف الأسمى للتربية هو التفاعل مع المعرفة واستيعابها وتوظيفها في المواقف الحياتية المختلفة وفق الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة.

وعليه فإن تحقيق الجودة في التعليم العالي بوجه عام ونتيجة التوسع الكبير في أعداد الجامعات والمؤسسات التعليمية، وزيادة أعداد الطلبة، يقتضي إنشاء هيئات وأساليب تعليم جديدة: (التعليم الالكتروني - E Learning)، والتعليم المفتوح (Open Learning)، والتعلم من بعد (Distant Learning)، وأمام تغير أساليب التعليم: من (Teaching - based) إلى (Learning - based)، ومن (Input - based) إلى (Outcome - based)، ومن التمرکز حول المنهاج إلى التمرکز حول الأهداف، وموائمة مخرجات التعليم مع أسواق العمل، والتنافسية في أسواق العمل المحلية والإقليمية والعالمية، والتعلم وأثره في الاقتصاد (اقتصاد المعرفة)، وإشراك القطاع الخاص في إنشاء الجامعات، والعولمة (عالمية التعليم) التي أنتجت تحديات جديدة للمؤسسات التعليمية من حيث طلب أنظمة ومعايير من أجل سهولة مقارنة المؤهلات بعضها ببعض، والانتقال بمهمة الاعتماد الراهنة من مستوى ضمان الحد الأدنى لمتطلبات الاعتماد في مؤسسات التعليم العالي إلى ضمان جودة التعليم في كافة المؤسسات التعليمية.

إن أهمية جودة التعليم العالي تظهر من خلال ما يمكن أن يحققه من فوائد عند تطبيقه لمعايير الجودة، ومن أبرزها:

- **التطوير المستمر لرسالة الجامعة وأهدافها:** حيث أن تطبيق معايير الجودة سيدفع مؤسسات التعليم العالي إلى مراجعة دائمة لرسالاتها وأهدافها مما يجعلها تواكب المتغيرات السريعة والمتلاحقة التي تفرضها العولمة واقتصاديات المعرفة، كما يجعلها تلبي متطلبات التنمية الشاملة، خاصة أن معايير ضمان الجودة لا تقف عند سقف معين بل هي دائمة التطور مما يجعل مؤسسات التعليم تلاحق هذا التطور وتسعى لتحقيق مستوياته.

- **الاستثمار الأمثل للموارد المالية والبشرية:** إذ أن مؤسسات التعليم العالي تعاني من هدر الطاقات البشرية، كما أن مواردها المالية إما أن تكون عاجزة عن تحقيق متطلباتها وتنفيذ برامجها أو أنها تستنزف في مجالات لا تخدم العملية التعليمية بصفة مباشرة، ولذا فإن تطبيق معايير ضمان الجودة يحقق الأسلوب الأفضل لاستخدام الموارد المالية والبشرية بصورة صحيحة.

- **تحقيق الدور المجتمعي لمؤسسات التعليم العالي:** حيث أن رسالة المؤسسات لا تقف عند الغايات التعليمية فقط، بل تتجاوز ذلك إلى محيطها الأوسع وهو الدور المجتمعي والإنساني، ولاشك أن جودة التعليم ستؤثر بصفة مباشرة في المجتمع من خلال مخرجاتها (الطلبة)، الذين يعدون مدخلات لعمليات وأدوار أخرى مثل القيام بالأبحاث العلمية، وتقديم الاستشارات العملية، ومساعدة متخذي القرار، والمساهمة في اقتراح حلول للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية التكنولوجية والصناعية وغيرها، التي من شأنها أن تحد من تأثيرات محركات التغيير العالمية.

- **تطوير مهارات العاملين في مجال التعليم العالي:** في ظل الجودة يُشترط على العاملين في المؤسسات التعليمية مستويات عالية من الكفاءة المهنية، وتدريب مستمر، واستخدام أمثل لوسائل التقنية الحديثة، وتوفير مهارات قيادية، مما ينعكس على أداء وإنتاجية العمل ويسهم في تطوير التنمية بأبعادها المختلفة.

4- الجامعة بين رهان جودة التعليم وتحديات آليات نماذج التعليم الحديث:

ستبقى الجامعات تواجه نوعين من التحديات، تحديات داخلية، وأخرى خارجية، أما الداخلية فهي تلك التي تواجه التطوير الذاتي للمؤسسة، وتسببها عوامل داخلية كامنّة في المؤسسة ذاتها، ومثل تلك التحديات قدرة الجامعة على الاستيعاب المتزايد السريع في أعداد الطلبة الناجم عن زيادة عدد السكان، ومن هم في سن التعليم الجامعي وقدرتها على تقديم تعليم عال

يتلاءم مع متطلبات المجتمع والتنمية وقدرتها على التكيف مع المتغيرات التكنولوجية السريعة، والتغيرات الحاصلة في طبيعة المهن والاختصاصات في سوق العمل وقدرتها على تحقيق التوازن بين متطلبات الفرد ومتطلبات المجتمع والتوازن بين الكم والكيف في العملية التعليمية وسياساتها المتبعة، وإنتاج التوازن بين وظائف التعليم الجامعي المتمثلة بالتدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع⁽¹⁵⁾.

وثمة قضايا أخرى تتمثل في قدرة الجامعة على التعامل مع مشكلات التمويل ومحدودية المواد المتاحة وقدرتها على تخطي الرأي العام السلبي نحو التعليم الجامعي الذي يدور حول قضاء الطالب عدة سنوات في التعليم الجامعي دون أن يتبع ذلك عائداً أو فائدة مستقبلية أي تخرج الطالب دون النظر إلى احتياجات المجتمع من القوى العاملة⁽¹⁶⁾.

أما التحديات الخارجية فهي تلك التحديات التي تفرض على الجامعة من خارج إطارها المؤسسي، وهذه التحديات مرتبطة بالتفاعلات الداخلية للمجتمع أو بتلك التحديات التي يفرضها الواقع الدولي الذي ينتمي إليه المجتمع، وبخاصة دول العالم الثالث وهي التبعية التكنولوجية أو الفكرية والنظمية وقضايا الأمن الغذائي والأمن الصحي واكتشاف واستغلال الموارد الطبيعية والتعامل مع مختلف قضايا التطور المعرفي والثقافي والتكنولوجي، وأمام تصاعد حدة الانتقادات الموجهة إلى الجامعة كعدم قدرتها على مواجهة المشكلات الاجتماعية كالفقر والحروب والتعصب، ومع الاتجاه المتعاظم لتكامل وتداخل المناهج والتخصصات المختلفة، الذي يدعو إلى وجود نوعيات جديدة من المؤهلين تأهيلاً متكاملاً ومتعدد العناصر، لأن حل أي مشكلة من مشكلات العصر ستكون متشابكة مع علوم وأساليب وطرق معرفية أخرى⁽¹⁷⁾، كما أن الجامعات أصبحت ترمي إلى إنتاج برامج الدراسات العليا هدفها تحقيق وإعداد الكفاءات العلمية المتخصصة تخصصاً عالياً في مجالات المعرفة المختلفة بما يلبي حاجة الجامعة والمجتمع، وتطوير البحث العلمي وتشجيع ذوي الكفاءات العلمية على ممارسة النشاط العلمي في جو مناسب يمكنهم من مسايرة التقدم السريع للعلم، والارتباط بعجلة التطور العالمي، ودفعهم إلى الإبداع والابتكار، وتوجيه البحوث والدراسات بما يساعد برامج الدراسة الجامعية الأولى لتتفاعل مع برامج الدراسات العليا⁽¹⁸⁾.

الخاتمة: ظهر التعليم المفتوح أو من بعد والذي يعتمد على التقنية لتقديم محتوى للمتعلم بطريقة جيدة وفعالة، وتبرز أهميته في إختصار الوقت والجهد والتكلفة إضافة إلى إمكانية تحسين المستوى العام للتحصيل المعرفي، ومساعدة المعلم والطالب في توفير بيئة تعليمية مناسبة.

ورغم الأهمية لهذا النوع من التعليم والنتائج الأولية التي أثبتت نجاحه، إلا أن الاستخدام لازال في بداياته حيث يواجه هذا التعليم بعض العقبات والتحديات سواءً أكانت تقنية تتمثل في عدم اعتماد معيار موحد لصياغة المحتوى، أو فنية وتتمثل في الخصوصية، وتربوية وتتمثل في عدم مشاركة التربويين في صناعة هذا النوع من التعليم.

وفي ضوء ما هو مطروح الآن من أفكار تربوية عن التعليم للعيش المشترك، وأيضاً في ظل ما تفرضه ثورة الإتصالات من تحول العالم لقرية صغيرة، وكذلك في ظل السعي للالتزام بمعايير عالمية لجودة التعليم، والتي قد تؤدي إلى تدويل التعليم الجامعي، يمكن تطوير النظام التعليمي الجامعي لمجتمعات العالم الثالث بالاعتماد على نموذج (التعليم المفتوح أو من بعد) مع مراعاة عدم تجاوز دور التعليم الجامعي في بناء الذات الحضارية لهاته المجتمعات، وحتى لا تسقط حقائق التميز الحضاري والتنوع الثقافي، ولذا ينبغي أن يؤكد التعليم الجامعي على هذه الحقائق، حتى لا يتم مصادرتة كنظام لإعداد القوى البشرية وإنتاج المعرفة ليعمل لصالح الحضارة الغربية، سواء في إنتاج الفكر أو إنتاج البشر، وحتى لا يصبح عنصر إضافة في آلة الإنتاج الغربي بدلاً من أن يعمل على تنمية مجتمعات العالم الثالث.

قائمة المراجع:

- 1- ممدوح عبد الهادي، عثمان: التكنولوجيا ومدرسة المستقبل " الواقع والمأمول"، بحث مقدم إلى ندوة " مدرسة المستقبل، الرياض: 16-17 شعبان 1423 هـ، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 2002، ص 1.
- 2- نفس المرجع السابق، ص5.
- 3- دالين، فان: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979.
- 4- نوفل، محمد نبيل: تأملات في فلسفة التعليم الجامعي العربي، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية، مجلة التربية الجديدة، عدد 51 سنة 1990.
- 5- نورمان، ماكزى وآخران: التعليم المفتوح (النظم والمشكلات)، ترجمة: صالح عزب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ب، ص17.

- 6- نفس المرجع السابق، ص 16.
- 7- Clive Jeffries & Others; A-Z of Open Learning, National Extension college, cambridg ,1990, p. (77).
- 8 - ديرك، رونترى: استكشاف التعليم المفتوح والتعليم من بعد، المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ص 16-22.
- 9- راشد، علي: الجامعة والتدريس الجامعي، دار الشروق، جدة، 1988.
- 10- The Melbourne Conference; Education for 21st Century in Asia – Pacific, Draft Declartion, April 1998.
- 11- Levin, P. , 'How University fail the learning society “ , In : Dunne, E. (Ed.); The learning Society; Koge page Limited ; London, 1999; p.p 85-96.
- 12- Perry, W: Open University “A Personal Account by he First Vice – Chancellor”, The Open University Press, London,. 1987.
- 13- University of Maryland; Institute for Distans Education (USM); 1997.
- 14- سليمان عبد ربه، محمد وعزة أحمد محمد، الحسينى: الجامعة الافتراضية (تصور مقترح للتعليم الجامعى عن بعد فى الوطن العربى على ضوء بعض التجارب الأجنبية)، مؤتمر التعليم الجامعى العربى عن بعد (رؤية مستقبلية)، مركز تطوير التعليم الجامعى، جامعة عين شمس، 17-18 ديسمبر 2002.
- 15- بوطانة، عبد الله: سياسة التغيير والنمو في مجال التعليم العالي، المجلة العربية للتعليم الجامعي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1995.
- 16- شحدة، فارغ: التعليم العالي في مجتمع متعلم، دار النشر، عمان، 1991.
- 17- علي، سعيد إسماعيل: التعليم الجامعي في الوطن العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 112.
- 18- الغفيلي، أيمن بن علي: الضبط الوراقى للأطروحات الجامعية في المملكة العربية السعودية، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام، 1995، ص 83.